

سماحة العلامة اليد ابوعدنان (الإمام المهدي والانتظار العصري)

وقفة مع علامات الظهور:

«المهدي منا أهل البيت»[2].

دقائق قليلة أقتطعها من وقتكم الثمين كي أسلط الضوء من خلالها على جانب معين، ربما يحظى بالأهمية، خصوصاً فيما نعيشه في هذا الزمن، الذي يفترض أن يكون قريباً أكثر مما كان، من عالم ظهور الخلف من آل محمد (ص).

فالعلماء خاصة، والمؤمنون بصفة عامة، يعنيه الأمر، ولكن كل بحسبه. فربما تشغل الواقعية ذهن العالم أكثر من العامي، كما أن الأنس والبشارة في ذهنية العامة ربما تشغل مساحة أكبر مما هي عليه في ذهنية العلماء.

1 - أن جميع ما نسمع من العلامات المتتابعة، في حالة من العجلة الملحوظة، لا تولد في داخلنا أكثر من الرغبة، فهل دخلت هذه الرغبة في حدود الجدية، أو أنها مجرد رغبة عامة يعيشها أبسط الناس؟

وقبل أن أسترسل وأتدرج في المسارات الثلاثة، لا بد أن أشير إلى أن مجموعة من الكتب - لا سيما تلك التي تعنى بجانب الملاحم والفتن، وهي من الكثرة بمكان في القديم والحديث - جاءت بمجموعة هائلة من العلامات التي تدل على قرب ظهور الإمام المهدي (ع)، إلا أن تلك الروايات الواصلة يكتنفها الكثير من الغموض الذي ينبغي أن تفكّ شفراته ليصل المرء إلى حقيقة العلامة المدللة، والأخرى التي تم تصنيعها في مصانع الوضع.

وهذا الأمر لا بد من الالتفات إليه والتدقيق فيه، لأننا ما عدنا نعيش كما كنا في الماضي، نجتريّ الكثير مما وصلنا من القضايا التي لم يقم عليها الدليل والبرهان، سواء كان ذلك في عالم النص، أم في عالم الرؤى التي باتت تشغل مساحة كبيرة من ذهنية الكثير من الناس الذين لم يسمحوا لأنفسهم أن يقتربوا من الواقع قبل أن يتقبلوا الوارد، وهذه واحدة من الإشكاليات المهمة في ذهنية المتلقي.

فعلامات الظهور على قسمين، منها ما هو حتمي الوقوع، وهناك شبه إجماع على أنها لا تتعدى خمس علامات، أما هذا الكم الهائل الآخر من العلامات التي يؤمّن لها شيء من الغطاء على أساس من الأحاديث والروايات المجعولة الموضوعة في الكثير من حالاتها والتي لا تتصف بالصحة، إنما هي في الأعم الأغلب روايات ضعيفة، بل الأكثر من ذلك أن قسماً منها موضوع مدسوس، وعلامات الدس والوضع فيها واضح بيّن، بل إن رائحة الوضع في بعضها تدعو للكشف عن أسرار ذلك النص الوارد في كتاب ما، مع أن تلك الكتب في عنوانها العام تضاف إلى ذوات كبيرة بحسب الظاهر. فعندما يحاول المرء أن يستنطق النص، ويبذل الجهد ويتعمق، يجد أن الكثير من ذلك لا واقع له في عالم الخارج.

فالخبر الوارد عن علامات الظهور المدعاة في الكثير من الأحيان، علينا أن نتبينه ونقف أمامه طويلاً، لأن الجيل إذا ما كان يعذر في الماضي، فلا عذر له اليوم،

فالمعلومة المحجوبة سابقاً باتت اليوم أقرب إلى يدك من غيرك أكثر مما تصور. وبقدر ما نعيش حياً وولاءً وارتباطاً ورغبةً في التشرف بالنظر إليه، علينا أن نمنح أنفسنا فرصة كافية لاستعيد قراءة النصوص، ونقف على دقائق الأمور فيما هو المدعى من الرؤى، التي تصدر في كثير من الأحيان من أناس لا يمتلكون القيمة الواقعية التي يمكن أن تنحل عنها تلك الرؤى.

والاعتقاد اليوم بات من المفاهيم التي تعصف بها الكثير من الرياح العاتية، وأعني بذلك الجذب والتجاذب بين الأطراف في ساحات المجتمع في أكثر من مكان ومكان، حتى أن البعض منا نصب نفسه حارساً على المعتقد، فعلى أساس من تلك الحراسة والخصوصية يُدخل من أحبّ، ويخرج من الولاء والمحبة من لا يحب، وتلك إشكالية كبيرة.

إننا نجد بعض الناس، ممن تكون الرغبة في داخله جامحة، لا يتجاوز حدود التسليم، لأن لديه رغبة أن يعيش يوماً أو أياماً في ظل المهدي، ومن منا ليست لديه هذه الرغبة، ولكن ينبغي أن تبنى على أساس من الواقع، لا على أساس من الرؤى والتخيلات.

(إن خروج الإمام المهدي (ع) سوف لن يكون ميوّساً، إنما سيكون مفاجئاً للأمة،
فبينما هي مشغولة بأداء المناسك، والطواف حول الكعبة، إذ بالمنادي بنادي بين
الركن والمقام أن قد ظهر الخلف الباقي من آل محمد (ص).)

الاستعداد للظهور:

وبناء على ذلك لا بد أن نكون على أهبة الاستعداد التام لاستشراق ذلك النور، والتبرك بطلعته النبوي، ونتفاعل معه في كل مستوجبات الحدث. فلنسأل أنفسنا: هل نحن على درجة كافية من الاستعداد بحيث لا نندم على الساعة التي أُذن له فيها بالفرج؟

الجواب: نعم، والأمر واضح، وسوف أنتزع درساً اجتماعياً اسقطه على واقعنا الاجتماعي. فكل من تقدم الإمام المهدي (ع) من الأنبياء والأئمة (ع)، تعاملوا مع مجريات الأحداث على أساس من الأحكام الظاهرية، فيشهد الشاهدان على قضية ما، فترتب الآثار، وبعض الحدود تحتاج إلى أربعة شهود، كالزنا مثلاً، وهكذا في سائر الأحكام، أي أنهم يتعاملون مع الظاهر لا مع الواقع الفعلي، فربما كانت الشهادة خاطئة في إصابة الواقع، إلا أننا متعبدون بترتيب الواقع عليها، وقد أعطى الشارع للشهادة صبغةً تأمين الحكم الشرعي، إذا ما أراد القاضي أو الحاكم الشرعي أن يعتمد عليه. وهذا حقيقة لا لبس فيها.

أما في زمن المهدي (ع) فالأمر أخطر، وسوف تنقلب المعادلة تماماً، وتكون الأحكام واقعية لا ظاهرية. فلو أن شخصاً سكن داراً، لم تكن عملية البيع والشراء فيها منضبطة بالضوابط الشرعية، فإن حقيقتها سوف تظهر في ذلك الزمان. وهكذا إن كان هنالك من يعيش زمناً طويلاً على الكثير من الأموال التي ورثها من ميت أوصى ولم تنفذ وصاياه فيما ينبغي، وهذا أمر موجود، فالكثير من الأثلاث معطلة، والوصايا متوقفة، ومثلها الكثير من الأمور، فما لم تحصل دعوى من شخص ما، وشاهد يشهد، فإنها تبقى مستورة. لذا نجد في الحديث: (فنحن اليوم نتعامل على الظاهر، فمن كان ظاهره حسناً شهدنا له بالعدالة، قال رسول الله (ص):) هذا في واقعنا الحالي، أما الإمام المهدي (ع) فلا يتعامل على أساس هذا الحساب، إنما يكون حكمه في القضايا حكماً واقعياً، لا يُنقض ولا يبدل بحكم آخر.

فلا شك أن هناك نمرقة من الناس عندما يخرج الإمام المهدي (ع) ترفضه، ولذلك نجد

في) فيقولون له : ارجع من حيث جئت، فلا حاجة لنا في بني فاطمة [7] .)

والطرق، أو ينزوي في مجلس من المجالس، فتتصور أنه لا حظَّ له من الإيمان إذا ما قيس بفلان، لكن اﻻ أخفى عليه في عباده [8]. فربما يكون ذلك المغمور في نظرنا أفضل بكثير عند اﻻ، وأقرب إليه ممن صورت فيه الكثير.

ومما لا شك فيه أن الإمام المهدي (ع) ينتظرنا، ونحن ننتظره كذلك، وهذا الانتظار يعني أن هنالك مكاناً وزماناً وخطاً واصلاً بين الأمرين، ثم هنالك ركنٌ متقوم بالمنتظر وهو الخلف الباقي، والمنتظر، وهو الإنسان الذي يعتقد بإمامة الإمام المهدي (ع). فهنالك إذن طرفان في قضية، وهنالك وصل بينهما، وهو الانتظار، وقد دفعتنا الشريعة، ورسمت لنا مجموعة من الخطوط والطرق المساعدة للوصول إلى حالة الانتظار المقبول والمطلوب والمأمول.

فمن تلك الطرق الزيارات، فنحن أتباع مدرسة أهل البيت (ع) التي فيها من الثروة العالية المتضمنة لواحد من أهم العناوين، وهو زيارات أهل البيت (ع) ومفاتيح الجنان [10] ومصباح المتهدد [11] ، وغيرها. وهذه الزيارات تشكل إرثاً ضخماً، يستطيع المرء أن يرتبط من خلاله مع الطرف الآخر.)

يا غائباً لم تغب عنا عنايتهم نحن لم نتشرف بالحضور بين يديه، لكن الألفاظ والفيوضات والخيرات التي تحري من قبله كواسطه فيض بيننا وبين السماء مما لا ينكره إلا من لم يعد يحمل في داخله نفساً صافية نقية قابلة لاستقطاب اللطف والفيض منه (ع).

من هنا فإن الدعاء له بالفرج، ولنا بالتوفيق في اتباعه وطاعته، يعد من أبرز الوسائل للاتصال به (ع) فعلياً من الإكثار منه والتوجه إلى اﻻ تعالى بنيات خالصة أن يوفقنا للتشرف بطلعته البهية. وفقنا اﻻ وإياكم لكل خير، والحمد ﻻ رب العالمين.